



المنشآت المائية العامة بربرض باب السوق خلال الفترة العثمانية¹

رمزي جوابلية*

الملخص

أولى أصحاب السلطة الحاكمة، خلال الفترة العثمانية، مسألة تزويد ربرض باب السوق بالماء الصالح للشراب عناية فائقة، فأقاموا به الأسبلة والسقايات والفساقي، وجلبوا إليها المياه من الآبار والعيون العذبة المجاورة، وأرصدوا لها أوقافا هامة ضمانا لديمومتها وتواصل الانتفاع بها وابتغاء للأجر والثواب. وتمّ تركيز تلك المنشآت المائية أساسا داخل أبواب الربرض وبالقرب منها استجابة لحاجات الأهالي والوافدين عليه، وبالسواق باعتبارها مراكز عمومية حيوية جاذبة لأعداد غفيرة من الناس. وقد ساعدتنا مصادرنا وخاصة وثائق الأرشيف في تعداد تلك المنشآت المائية وضبط مواقعها ومعرفة مصادر تزودها والاطلاع على أوقافها من مداخل ومصاريف؛ فضلا عن تمكيننا من إعادة تصوّر شكل بعض الأسبلة المجددة، خلال الفترة الحسنية، كسبيل باب أبي سعدون، وذلك انطلاقا من حظائر ترميمه. وتميّزت عمارة هذا الصنف من المنشآت المائية سواء أكانت جديدة (سقاية باب سيدي عبد السلام) أم مجددة (سبيل باب أبي سعدون) ببساطتها وتقشّفها وتجذّرها في التقاليد المحليّة.

الكلمات المفتاحية: منشآت مائية عامة، أوقاف، عمارة إسلامية، ربرض باب السوق، الفترة العثمانية.

المرجع لذكر المقال

رمزي جوابلية، «المنشآت المائية العامة بربرض باب السوق خلال الفترة العثمانية»، السبيل: مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغربية [نسخة الكترونية]، عدد 5، سنة 2018.

الرابط: <https://al-sabil.tn/?p=18059>

¹ لقد تطرّقنا إلى بعض جوانب هذا الموضوع في رسالة الماجستير التي أنجزناها تحت إشراف الأستاذ أحمد السعداوي (أنظر رمزي جوابلية، 2010، ص. 145-167)، وقد أثّرنا العودة إليه ومزيد التعمّق فيه، خصوصا، في ظلّ توفر مصادر جديدة. *مخبر الآثار والعمارة المغربية-جامعة منوبة.



لعبت السلطة السياسية ومؤسسة الأحباس، خلال الفترة الحديثة، لا سيما المرادية والحسينية، دورا هاما في تجهيز ريش باب السويقة بالمنشآت المائية اللازمة من أسبله وسقايات وفساقي وآبار، وصيانة الشبكة القديمة الموروثة عن الفترة الحفصية وترميمها.

وتطالعنا وثائق الأرشيف بمعلومات قيمة وتفصيل دقيقة حول أوقاف الأسبله والفساقي ومدخيلها، وحظائر رمها: ذكر نوعية الأشغال وتكاليفها ومواد البناء المستعملة ورواتب القائمين عليها وأجور أصحاب الصنائع والعمال. ولدراسة هذا الصنف من المباني الخيرية، من الناحية المعمارية، اخترنا سبيلين: سبيل باب أبي سعدون المندثر، حاليا، وقد حاولنا إعادة تصويره كمثال معبر عن المنشآت المائية الحفصية المجددة خلال الفترة العثمانية وذلك انطلاقا من حظائر ترميمه المفصلة ببعض دفاتر المسح، وسقاية باب سيدي عبد السلام كأهم نموذج للمعالم الجديدة التي لا تزال محافظة على بعض وحداتها المعمارية خصوصا وأن نظائرها قد اندثرت.

تعدد المنشآت المائية العامة ومصادر تزودها بالماء

رافق الامتداد العمراني للربض الشمالي، خلال الفترة العثمانية، ازدياد الحاجة إلى المنشآت المائية العامة. فالحق بجامع أبي محمد، في واجهته الغربية التي تفتتح على نهج الحلفاوين، سبيل² للناس، خلال القرن السابع عشر³. وأنشأ علي باشا بن محمد التركي⁴ - بعد إنفراده بالحكم سنة 1740 م - «الفسقية» الكبيرة التي تسمى البحيرة جوفي باب أبي سعدون، لم يحفر قبله سلطان مثل هذه الفسقية في الكبر والوسع والعمق، بحيث لو امتلأت بالماء لم يحتج أهل تونس إلى غيرها مدة من السنين، وصرف عليها أموالا كثيرة وكذلك على جلب مياهها [...]. وتظهر هذه الفسقية كأنها بحيرة للذي يقف على حذب القصة⁵. وفي بداية القرن التاسع عشر، أقام الوزير يوسف صاحب الطابع سقايتين⁷: «سقاية داخل باب سيدي عبد السلام، وسقاية الحلفاوين التي عليها بعض علوه»⁸؛ وحبس عليهما أوقافا كثيرة ضمنا لديومتهما وتواصل نفعهما⁹.

² يعرف الأستاذ أحمد السعداوي (2015، ص. 369، إحالة 1) السبيل فيذكر أنه: «في الاصطلاح هو مكان عام للشرب، جعل مأوه لسقاية عابري السبيل من قبيل أعمال الصدقة. وكان أول أمر الأسبله مرتبط بإنشاء المساجد والمدارس، ثم تطور مع الزمن لتصبح الأسبله منذ بداية العصر العثماني منتشرة داخل المدن، في الشوارع والأسواق والأحياء».

³ S. M. Zbiss, 1971, p. 38-39. Abdel Hakim Gafsi-Slama, 1997, p. 253.

⁴ أضاف أحمد بن أبي الضياف (1990، ج. 2، ص. 175) منشأة مائية أخرى إلى مآثر علي باشا بن محمد بن علي تركي وهي سقاية باب سيدي عبد السلام؛ وقد وصفها بالمصنع الذي يجتمع فيه ماء المطر، ولكن دون أن يحدد موقعها أكانت داخل الباب المذكور أم خارجه. وبالرجوع إلى الميدان نجد خارج باب سيدي عبد السلام وتحديدا وراء السوق البلدي، مستودعا بلديا يحمل اسم «مستودع الفسقية»، نسبة إلى فسقية كانت موجودة بالمكان لكنها اندثرت حاليا. وقد أكد الأستاذ سليمان مصطفى زبيس (1955، ص. 24) وجود تلك الفسقية خارج باب سيدي عبد السلام وحدد بانيتها وهو الباشا علي الأول. وبالتالي فإن سقاية باب سيدي عبد السلام التي نسبها أحمد بن أبي الضياف إلى الباشا علي الأول هي ذاتها تلك الفسقية التي ذكرها الأستاذ سليمان مصطفى زبيس والتي ظلت الطوبونوميا شاهدة على وجودها.

⁵ الفسقية: هي أحواض كبيرة مكشوفة مشيدة لتجميع المياه وتصفيته وتخزينها. وهي تتخذ أشكالا هندسية متنوعة، فمنها المستديرة ومنها المربعة أو المستطيلة. وقد تكون ذات بركتين أو ثلاث برك أو أكثر. وهي تتألف عموما من أحواض لتجميع المياه وتصفيته وتسمى «أحواض التصفية»، وأحواض أخرى للتخزين وتعرف بأحواض الخزن، فضلا عن مواجل الغرف. أنظر، Ahmed Saadaoui, 2001, p. 413.

- محمد اللواتي، 2013، ج. 2، ص. 513-523.

⁶ الصغير بن يوسف، 2008، ج. 3، ص. 35-36، مأخوذ عن أحمد السعداوي، 2015، ص. 21.

⁷ يعرف الأستاذ جمال بن طاهر (2000، ص. 16-17) السقاية بكونها: «حنفية-مورد، إذ جعلت ليشرب منها الناس وترتوي منها الدواب في آن». وهي بذلك تختلف عن الأسبله والحنفيات العادية المخصصة لشرب الناس فقط.

⁸ ابن أبي الضياف، 1990، ج. 7، ص. 94.

⁹ طارق الزواغي، 1998، ص. 15-20. جمال بن طاهر، 2000، ص. 30-31.

- Ahmed Saadaoui, 2001, p. 277-280.



أما بالنسبة إلى الشبكة المائية الموروثة عن الفترة الحفصية، فقد تمّ إصلاحها وصيانتها. ونذكر على سبيل المثال أعمال الرّم التي شهدتها سبيل باب أبي سعدون¹⁰، بين سنتي 1215 هـ/ 1800 م¹¹ و1218 هـ/ 1803 م¹²، تحت إشراف وكيل أسبلة الحاضرة أبي عبد الله محمد بن يوسف بلكباشي الحنفي.

وتورد مصادرها عدّة أسبلة أخرى تتوزّع على مختلف أحياء الربض، لكنّها لم تذكر لا مؤسّسها ولا تاريخ تأسيسها، ومن بينها نذكر سبيل باب الخضراء¹³، وسبيل زقاق القراحة بدرب العسال¹⁴، وسبيل سوق أولاد بوزيد بنهج باب أبي سعدون¹⁵ وسبيل التبانين¹⁶، وسبيل الغضوي بالحلفاوين¹⁷، وسبيل القنطرة¹⁸، وسبيل بالخضارين خارج باب السوق¹⁹، وفسقية باب حي العلوج²⁰، وسبيل البرادعية بقسم الرحبة²¹.

وتتركّز تلك المنشآت المائية أساسا داخل أبواب الربض وبالقرب منها استجابة لحاجات الأهالي والوافدين عليه، على غرار سبيل باب الخضراء، وفسقية باب سيدي عبد السلام، وسبيل باب أبي سعدون، وفسقية باب أبي سعدون، وفسقية باب حي العلوج؛ كما تنتصب بالأسواق باعتبارها مراكز عمومية حيوية جاذبة لأعداد غفيرة من الناس، فنجد سبيلين بسوق الحلفاوين وسبيلاً بكلّ من سوق أولاد بوزيد وسوق التبانين وسوق الخضارين وسوق البرادعية خارج باب السوق.

ويورد لنا دفتر أحباس المراديين بعض المعطيات حول مصادر الماء المجلوب إلى ربض باب السوق. فجاء في إحدى الوقفيات التي يعود تاريخها إلى أواسط رجب 1058 هـ / 5 أوت 1648 م، أنّ الماء الواصل إلى سبيل أو "سبالة" باب أبي سعدون أصله من تلك "البئر المعينة ذات الدولاب المعروفة في مكانها ببئر الماجل"²². وورد في حبس آخر للماء أنّ الباي مراد الثاني (1666 م- 1675 م) حبس عديد العقارات والرباع على "إجراء الماء الذي جلبه" لأسبلة الربض المذكور²³، لكن دون ذكر لمصادر التزويد.

أما خلال الفترة الحسينية، فقد طالعنا مصادرها بأنّ أسبلة الربض وسقاياته كانت تتزوّد بمياه آبار رأس الطابية والجبل الأحمر. إذ ذكر حمودة بن عبد العزيز أنّ: «الماء الداخل إلى ربض باب السوق أصله من البئر الكائنة بأعلى الفدان²⁴ المعروفة ببئر عتيق فضمّ إليه مولانا [الباي علي بن حسين بن علي (1172 هـ- 1196 هـ/ 1758 م- 1781 م)] بئر العلجية المجاورة لها -اشتراها من

¹⁰ أنشأ ذلك السبيل السلطان الحفصي المنتصر سنة 838 هـ/ 1434 م، وأوقف عليه ما يكفي. أنظر ابن الشماخ، 1984، ص. 120. الزركشي، 1998، ص. 263. ابن أبي دينار، 1993، ص. 177. الوزير السراج، 1985، ج. 2، ص. 194. محمود مقديش، 1988، ج. 1، ص. 602. محمد حسن، 1999، ج. 1، ص. 177.

¹¹ الأرشيف الوطني التونسي (أ. و. ت.)، دفتر 2307، محاسبة الوكيل على مداخيل أسبلة الحاضرة ومصاريفها بين سنتي 1215-1216 هـ/ 1800-1801 م، ص. 3 و80.

¹² أ. و. ت.، دفتر 2308، محاسبة الوكيل على مداخيل أسبلة الحاضرة ومصاريفها بين سنتي 1215 هـ- 1218 هـ/ 1800-1803 م، ص. 49-57 و61-64 و66 و73-74.

¹³ أ. و. ت.، دفتر 2307، ص. 76 و78 و88. أ. و. ت.، دفتر 2308، ص. 63 و165.

¹⁴ أ. و. ت.، دفتر 2307، ص. 47.

¹⁵ أ. و. ت.، دفتر 2307، ص. 47 و51-52. أرشيف أملاك الدولة (أ. أ. د.)، صندوق 211، رسم إنزال عدد 254.

¹⁶ أ. و. ت.، دفتر 2307، ص. 45 و48-50.

- أ. و. ت.، دفتر 3992، نسخ لحجج تحبّيس أملاك على المساجد والمدارس بمدينة تونس وربضيها تعود إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر، ص. 305-306. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 173-174.

نضب ذلك السبيل وصار موضعاً للأوساخ سنة 1263 هـ/ 1846-1847 م. أنظر أ. و. ت.، دفتر 2286، إحصاء الرباع التي تحتاج إلى إصلاح بالحاضرة سنة 1263 هـ/ 1846-1847 م، ص. 12.

¹⁷ أ. أ. د.، دفتر محصول قانون خروبة الرباع بالحاضرة سنة 1260 هـ/ 1843 م، ص. 158.

¹⁸ أ. و. ت.، دفتر 1 مكرّر، أوقاف المراديين، ورقة 7.

- أ. و. ت.، دفتر 3992، ص. 302 و137-146. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 169 و411 و565.

¹⁹ أ. أ. د.، دفتر بيان تقييد المساجد والزوايا والميضاآت والكتاتيب والأسبلة وغير ذلك، وما عليها من الأوقاف، سنة 1170 هـ/ 1756 م. تحقيق ودراسة ناديّة بوسعيد، 2006-2005، ص. 323.

²⁰ أ. و. ت.، دفتر 1778، محاسبة الوكيل على مداخيل أسبلة الحاضرة ومصاريفها، بين سنتي 1211 هـ و1214 هـ/ 1796-1799 م، ص. 163-164 و166. أ. و. ت.، دفتر 2307، ص. 1 و11 و27. أ. و. ت.، دفتر 2308، ص. 49 و61 و73. أ. و. ت.، دفتر 2286، ص. 6.

²¹ أ. و. ت.، دفتر 2286، ص. 6.

²² أ. و. ت.، دفتر 1 مكرّر، أوقاف المراديين، ورقة 68. أ. و. ت.، دفتر 3992، ص. 56-57. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 315-316.

²³ أ. و. ت.، دفتر 1 مكرّر، أوقاف المراديين، ورقة 71-72. أ. و. ت.، دفتر 3992، ص. 119. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 322-325.

²⁴ يوجد أعلى الفدان برأس الطابية. أنظر طارق الزواغي، 2004-2005، ص. 37.



فاضل الأوقاف المحبسة على بئر عتيق-ثم اشترى بئرا ثالثة داخل باب سيدي عبد السلام عذبة الماء وعمل عليها ناعورة وزاد ماءها إلى ماء البئرين المذكورتين وتسرب الكل إلى أماكن من الربض المذكور، بكل مكان سبيل مباح لكل وارد»²⁵. وأخبرتنا بعض وثائق الأرشيف، في بداية القرن التاسع عشر، بأن أسبلة الربض كانت تزود بمياه بئر العليّة²⁶ باستثناء سبيل باب أبي سعدون فإن مياهه تتأتى من آبار السبع نواعر بالجبل الأحمر²⁷.

وبالتالي، مثلت المياه الباطنية المجاورة بهضبتي رأس الطابية والجبل الأحمر مصادر أساسية لتزويد أسبلة الربض وسقايته بالماء الصالح للشرب، خلال الفترة العثمانية ولاسيما الحسينية. ولكننا نجهل التقنيات المعتمدة لإيصال تلك المياه. وبالرجوع إلى مصادرننا نتبين أن حمودة باشا المرادي (1631-1666) قد جلب الماء من آبار رأس الطابية إلى الحاضرة على حنايا باب سعدون²⁸. كما أن علي باي بن حسين بن علي جلب الماء إلى العاصمة من آبار رأس الطابية وبئر قصة أسفل الجبل الأحمر التي « شق الأرض حفرا عندها حتى صار الحفر أسفلها أخدودا يبلغ عمقه ستين ذراعا، ثم مشى بالأخدود منحدرًا مطويا تحت الأرض ببناء محكم الصنعة وخرق البئر إلى الأخدود فجري ماؤها فيه، واستنبت بحافته آبارا سبعة خرقها إليه أيضا، وأجرى مياهها فيه، وانتهى الأخدود مطويا- يمشي فيه الرجل مستقيما- إلى وادي بعيرة فسهلت الأرض هنالك وانبسّطت فأجرى الماء في ساقية عظيمة تحت وجه الأرض إلى أن بلغ رأس الطابية واختلط بمياه آباره جاريا على الحنايا إلى الجبل الأخضر²⁹ داخلًا إلى القصبة متسرّبا منها في غيايات المدينة متشعبا في سككها في مذائب تحت الأرض إلى بضعة وعشرين سبيلا في أماكن متفرقة»³⁰.

ويتضح من مصادرننا أنه منذ بدايات الحكم المرادي، قد تم إعادة إحياء حنايا باب أبي سعدون-بعد أن تم التخلي عنها نهائيا منذ القرن السادس عشر-وتواصل استغلالها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. كما تم استعمال طريقة "الفقارات" المتمثلة في حفر عدة آبار على عمق المياه الجوفية وربطها مع بعضها بواسطة سراديب تصرف الماء إلى سرداب رئيسي ومنه إلى قناة حنايا رأس الطابية المتصلة بهضبة الرابطة حيث حوض الخزن والتجميع الذي تنطلق منه شبكة من القنوات الباطنية حاملة الماء إلى العديد من أسبلة الحاضرة وسقاياتها³¹.

وعليه، فإننا لا نستبعد اعتماد نفس تلك التقنيات المذكورة لإيصال المياه العذبة إلى ربض باب السويقة خاصة وأنها متأية من نفس المصادر التي تزود المدينة وهي آبار رأس الطابية والجبل الأحمر. على أن بعض السقايات كانت تحتوي على آبار خاصة بها كسقاية باب سيدي عبد السلام³². كما مثلت الأمطار موردا هاما لتعبئة الفساق.

دور الأوقاف في إقامة المنشآت المائية العامة وصيانتها

حظيت أسبلة ربض باب السويقة، منذ الفترة الحفصية، بأوقاف هامة يصرف ريعها في صيانتها وترميمها ودفع رواتب القائمين عليها ضمانا لاستمرارية استغلالها والانتفاع بها؛ فلما أقام السلطان المنتصر سبيلا، داخل باب أبي سعدون، سنة 838 هـ/1434 م، حبس عليه ما يكفيه من الأوقاف³³.

أما خلال الفترة المرادية، فقد خصّ مراد باي الثاني (1666-1675) كل أسبلة الربض بأوقاف كثيرة ساهم ابنه محمد باي (1686-1696) في إثرائها وتدعيمها. وقد ورد ذكر تلك الأقباس مجمعة في النسخة الأولى لعقد التحبّيس، سنة 1103 هـ/1692 م، وفي النسخة الثانية سنة 1107 هـ/1696 م³⁴. وهي تتمثل في إحدى عشرة قطعة من الأراضي المغروسة زيتونا ببلد عوسجة بالساحل، وقطعة من الأرض البيضاء معدة للحراثة بالموضع المعروف "بالجربوعية" غربي البلد المذكور. وقد عبر العدول عن تلك القطع بأسماء مختلفة

²⁵ حمودة بن عبد العزيز، 1970، ج. 1، ص. 313.

²⁶ أ. و. ت.، دفتر 2307، ص. 1 و 27 و 39.

²⁷ أ. و. ت.، دفتر 2308، ص. 61 و 97 و 123.

²⁸ أ. و. ت.، دفتر 1 مكرّر، أوقاف المراديين، ورقة 66. أ. و. ت.، دفتر 3992، ص. 52-56. ابن أبي الضياف، 1990، ج. 2، ص. 43. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 312.

²⁹ يوجد الجبل الأخضر غربي مدينة تونس. وهو هضبة صغيرة معروفة، حاليا، باسم "الرابطة". أنظر أحمد السعداوي، 2015، ص. 367، إحالة 2، وص. 372، إحالة 1.

³⁰ حمودة بن عبد العزيز، 1970، ج. 1، ص. 311-310.

³¹ Ahmed Saadaoui, 2001, p. 209-210 et 412.

³² جمال بن طاهر، 2000، ص. 16 و 30.

³³ ابن الشماخ، 1984، ص. 120.

³⁴ أ. و. ت.، دفتر 1 مكرّر، أوقاف المراديين، ورقة 71-72. أ. و. ت.، دفتر 3992، ص. 119-121. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 322-325.



كالفدان والجنان والشعبة. أما الرباع، فتتركز أغلبها داخل روض باب السوق؛ وهي تتمثل أساساً في تسع حوانيت، وسبعة مخازن، وفرن جير، ونصف مداخل الحمام الغربي بدرج الحفير والبوينة الشرقية المجاورة له، ودار خربة ودار شرقية بحارة اليهود داخل باب السوق.

وتطالعنا بعض دفاتر الأوقاف بأحباس منشآت مائية خيرية أخرى لكن من دون ذكر لمحبسها كأحباس "سبالة" القنطرة وبئر الفدان³⁵ وبئر عتيق³⁶ وفسقية باب حي العلوج³⁷.

وعندما توّلى على باي بن حسين بن علي تركي الحكم، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، قام بدوره بتحسيس العديد من الرباع على جميع الأسبلّة ذات الأبايزم، بمدينة تونس وربضها الشمالي والجنوبي، الجاري ماؤها من العيون والآبار والسواقي. وقد ورد ذكر تلك الرباع بتفصيل دقيق في نسخة عقد التحسيس التي تعود إلى سنة 1178هـ/ 1764م³⁸؛ وهي تتمثل في مخزنين، وإحدى وثلاثين حانوتا بروض باب الجزيرة. واشترط المحبس ألا يصرف ريع تلك الرباع إلا بعد محاسبة الناظر على الأوقاف القديمة للأسبلّة والتثبت من نفاذ مداخلها. أما الباقي من الربيع فيشتري به عقارات أو رباغ أخرى وتلحق بالمحبس المذكور. وعملاً بالمذهب الحنفي، جعل المحبس النظر في حبسه لنفسه مدة حياته ثم أولاده الذكور وأعقابهم الذكور ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام.

ولمّا أنشأ الوزير يوسف صاحب الطابع سقايتي الحلفاوين وباب سيدي عبد السلام، في مطلع القرن التاسع عشر، حبس عليهما ثمان وعشرين قطعة من الأراضي البيضاء المصدّة للحرثة بين رواد وسيدي عمر بوخطيوة من أرياف مدينة تونس³⁹. وقد أضيف إلى تلك الأوقاف - حسب دفتر أداء الخروبة سنة 1260 هـ/ 1843 م - العديد من الرباع التي تتمثل في مقهى وإحدى عشرة حانوتا بباب الخضراء⁴⁰.

كما يورد لنا نفس دفتر الخروبة أوقاف سبيل الغضوي بالحلفاوين وخابية السبيل بالخضارين خارج باب السوق، وهي تتمثل في مخزنين وأربع حوانيت: حانوتان بالحلفاوين، وحنوت باب سيدي عبد السلام وحنوت بالخضارين⁴¹.

وفي الجملة، فقد أولى أصحاب السلطة الحاكمة، خلال الفترة العثمانية لا سيما المرادية والحسينية، مسألة تزويد روض باب السوق بالماء الصالح للشرب عناية فائقة، فأقاموا به الأسبلّة والسقايات والفساقي، وجلبوا إليها المياه من الآبار والعيون العذبة المجاورة، وأرصدوا لها أوقافاً هامة ضماناً لديمومتها وتواصل الانتفاع بها وابتغاء للأجر والثواب.

وتكتنف عملية رصد تطوّر مداخل تلك المنشآت المائية العامة، عبر مختلف السنوات، العديد من الصعوبات منها تلف عدد هام من الوثائق الأرشيفية المتعلقة بها، وعدم خصّ أغلب دفاتر الجباية المتاحة أسبلّة الروض بمداخلها الخاصة، وإيرادها مجملة ضمن مداخل أسبلّة الحاضرة عموماً⁴².

ومهما يكن من أمر، فقد مكنتنا بعض دفاتر المحاسبة من الاطلاع على المداخل السنوية لأوقاف أسبلّة الروض وفسقية باب حي العلوج ومتابعتها طيلة ست سنوات، بداية من سنة 1211 هـ/ 1796 م⁴³ إلى حدود سنة 1216 هـ/ 1801 م⁴⁴. وقد تميزت عموماً بتذبذبها، ويمكن تلخيصها في شكل جدول.

³⁵ أ. و. ت، دفتر 3992، ص. 302. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 169-170.

³⁶ أ. د، دفتر بيان تقييد المساجد والزوايا والميضات والكتاتيب والأسبلّة وغير ذلك، وما عليها من الأوقاف، سنة 1170 هـ/ 1756 م. تحقيق ودراسة نادية بوسعيد، 2005-2006، ص. 88-91.

³⁷ أ. و. ت، دفتر 3992، ص. 340.

³⁸ المصدر السابق، ص. 419-422.

³⁹ جمال بن طاهر، 2000، ص. 23-31.

⁴⁰ أ. د، دفتر محصول قانون خروبة الرباع بالحاضرة سنة 1260هـ/1843م، ص. 158.

⁴¹ المصدر السابق، ص. 158.

⁴² أ. و. ت، دفتر 119، محاسبة حمودة قميحة شيخ المدينة على أوقاف الأسبلّة والفساقي، من سنة 1170 هـ/ 1756 م إلى سنة 1177 هـ/ 1764 م، ص. 29-30.

- أ. و. ت، دفتر 1776، محاسبة وكيل أوقاف الأسبلّة من سنة 1204 هـ/ 1789 م إلى سنة 1209 هـ/ 1795 م.

- أ. و. ت، دفتر 2070، بيان حساب وكيل الأسبلّة بمدينة تونس من سنة 1187 هـ/ 1773-1774 م إلى سنة 1189 هـ/ 1775-1776 م.

⁴³ أ. و. ت، دفتر 1778، محاسبة الوكيل م راد سقسلي بلكباشي الحنفي على مقبوضه من أوقاف أسبلّة الحاضرة وفساقيها ومصروفه عليها طيلة خمس سنوات، بداية من سنة 1211 هـ/ 1796 م إلى حدود سنة 1215 هـ/ 1800 م، ص. 163-164 و166.

⁴⁴ أ. و. ت، دفتر 2308، ص. 26-28 و32 و34.



جدول عدد 1: مداخيل أوقاف أسبلة ربض باب السويقة وفسقية باب حي العلوج بين سنتي 1211 هـ / 1796 م و 1216 هـ / 1801 م

السنوات	أوقاف الأسبلة	أوقاف فسقية باب حي العلوج	اسم الوكيل المشرف	المصدر
1211 هـ / 1796 م	839 ريالاً و 9 نواصر	218 ريالاً و $\frac{3}{4}$	مراد سقسلي بلكباشي الحنفي	أ. و. ت.، دفتر عدد 1778، ص. 163.
1212 هـ / 1797 م	1397 ريالاً و $\frac{1}{2}$ وناصري	177 ريالاً	نفس الوكيل المذكور	نفس المصدر السابق
1213 هـ / 1798 م	675 ريالاً	153 ريالاً	نفس الوكيل المذكور	نفس المصدر السابق
1214 هـ / 1799 م	960 ريالاً و $\frac{1}{2}$ و 6 نواصر	1102 ريالاً و $\frac{1}{4}$	نفس الوكيل المذكور	نفس المصدر السابق
1215 هـ / 1800 م	489 ريالاً و $\frac{1}{4}$ و $\frac{1}{8}$	150 ريالاً	نفس الوكيل المذكور	نفس المصدر السابق ⁴⁵ ، ص. 166.
1216 هـ / 1801 م	1051 ريالاً و $\frac{3}{4}$ و 8 نواصر ونصف	261 ريالاً	أبو عبد الله محمد بن يوسف بلكباشي الحنفي	أ. و. ت.، دفتر عدد 2308، ص. 26-28 و 32 و 34.

أما بالنسبة إلى المصاريف، فغالباً ما يحدّد المحبس أوجه صرف مداخيل أوقافه. فنصّ مثلاً مراد باي الثاني على أن تصرف غلة حبسه فيما يحتاج إليه جلب الماء إلى أسبلة ربض باب السويقة من رمّ وبناء وغير ذلك ممّا يحتاج إليه الماء المذكور⁴⁶. وأكّد علي باي بن حسين بن علي التركي على أن يصرف محصول أوقافه فيما تحتاجه أسبلة المدينة وربضها من سائر ضرورياتها الموجبة لحصول النفع بها، "وما يفضل من ريع الوقف المذكور بعد الصرف فيما يجب صرفه يشتري به ربع أو عقار ويلحق بالحبس المذكور"⁴⁷. ووضّح الوزير يوسف صاحب الطابع في طرة وقفه أنّه: «حبس ووقف وأبد جميع الثمانية والعشرين قطعة أرضاً بيضاء... على إصلاح ما عساه يحتاج للإصلاح من الساقية المذكورة [ساقية باب سيدي عبد السلام] من محل انسراب الماء إليها ومصاصاتها ودولابها وجدرانها وما اتصل بها من مسكن النواعري ومربط الدابة وتجديد ما احتيج منها له من قواديس وحبل وتعويض دابة للدولاب إن عطبت التي فيه وأجر النواعري وغير ذلك من سائر ما تقوم به حتى تصير قائمة على أصولها مستدامة الانتفاع بها يضاف ما يتحصّل من ذلك لمحصول ما وقفه عليها في غير هذا ويصرفه ناظر السبيل... أو من يقوم مقامه في النظر... وما يفضل عن الإصلاح يكون تحت يد الناظر يستعده لما ذكر وكذلك إن استغنت عن الإصلاح حبساً مؤبداً ووقفاً حراماً سمرداً...»⁴⁸.

وقد مكّنا أحد دفاتر المحاسبة من الاطلاع على المصاريف الجمالية السنوية لأسبلة الربض وفسقية باب حي العلوج على امتداد ثلاث سنوات بداية من عام 1211 هـ / 1796 م إلى غاية 1213 هـ / 1798 م، تحت إشراف وكيل أسبلة الحاضرة وفساقية مراد سقسلي بلكباشي الحنفي⁴⁹. ويمكن تلخيص تلك المصاريف في شكل جدول.

جدول عدد 2: مصاريف أسبلة ربض باب السويقة وفسقية باب حي العلوج بين سنتي 1211 هـ / 1796 م و 1213 هـ / 1798 م⁵⁰

السنوات	مصاريف الأسبلة	مصاريف فسقية باب حي العلوج
1211 هـ / 1796 م	806 ريالاً و $\frac{1}{4}$ و 4 نواصر	308 ريالاً و $\frac{1}{2}$ و ناصريّان
1212 هـ / 1797 م	2340 ريالاً و $\frac{3}{4}$ و 6 نواصر	99 ريالاً و $\frac{1}{2}$ و 6 نواصر
1213 هـ / 1798 م	2083 ريالاً و $\frac{3}{4}$ و ناصريّان	223 ريالاً و $\frac{3}{4}$ و 7 نواصر

وما يلفت الانتباه، من خلال الجدولين السابقين، أنّ مصاريف المنشآت المائية الخيرية للربض، بين سنتي 1211 هـ / 1796 م و 1213 هـ / 1798 م، قد فاقت مداخيل أوقافها خلال نفس الفترة إلى حدّ تجاوزها بأكثر من ثلاثة أضعاف بالنسبة إلى الأسبلة وذلك سنة 1213 هـ / 1798 م؛ ممّا يطرح عديد التساؤلات حول كيفية تغطية تلك المصاريف ومصادر تمويلها.

⁴⁵ أنظر كذلك أ. و. ت.، دفتر 2308، ص. 4-5 و 8 و 10-11.

⁴⁶ أ. و. ت.، دفتر 1 مكرّر، أوقاف المراديين، ورقة 72. أ. و. ت.، دفتر 3992، ص. 121. أنظر كذلك أحمد السعداوي، 2011، ص. 325.

⁴⁷ أ. و. ت.، دفتر 3992، ص. 421-422.

⁴⁸ جمال بن طاهر، 2000، ص. 30-31.

⁴⁹ أ. و. ت.، دفتر 1778، ص. 164.

⁵⁰ المصدر السابق، ص. 164.



كما أسعفتنا دفاتر أخرى للمحاسبة بكشف دقيق ومفصل للمصاريف اليومية والشهرية لفسقية باب حي العلوج وعدد هام من الأسبلة كسبيل الحلفاوين وسبيل التبانين وسبيل سوق أولاد بوزيد وسبيل باب أبي سعدون وسبيل زقاق القراوحة وسبيل باب الخضراء بين سنتي 1215 هـ/1800 م و 1218 هـ/1803 م⁵¹. وقد غطت تلك المصاريف شتى أشغال الصيانة والترميم ومختلف مواد البناء المستعملة وأجور أصحاب الصنائع والعمال ورواتب القاهنين على تلك المنشآت المائية.

سبيل باب أبي سعدون: مكوناته المعمارية من خلال دفاتر حظائر ترميمه

أنشأ هذا السبيل السلطان الحفصي المنتصر، سنة 838 هـ / 1434 م، داخل باب أبي سعدون، وأوقف عليه ما يكفي⁵². وهو سبيل لشرب الناس والدواب⁵³. وقد تواصل استغلاله -حسب بعض وثائق الأرشيف- خلال الفترة الحسينية ولا سيما مطلع القرن التاسع عشر. وكان يتزود بمياه آبار السبع نواجر بالجبل الأحمر⁵⁴. وتظل هذه المعلومات -على أهميتها- منقوصة لأنها لا تساعدنا على معرفة عمارة السبيل. لكن بالعودة إلى بعض دفاتر المحاسبة والإطلاع على أشغال ترميمه وأهم الإضافات التي شهدتها، بين سنتي 1215 هـ/1800 م و 1218 هـ/1803 م، يمكن إعادة تصويره. وتتمثل تلك الأشغال أساسا في إصلاح بابي الصهرج والسبيل و"تسريح الساقية"⁵⁵ ثم نقضها وردمها⁵⁶، وإصلاح القنوات "الحلاقيم"⁵⁷ ودهنها بالزيت⁵⁸، وطلاي الجدران بالليقة⁵⁹. أما بالنسبة إلى الإضافات فنذكر منها:

- تركيب الكذال المجلوب من جبانة اليهود وتثبيتته بواجهة السبيل وجبهة بابه، وبوسط القبو وأقواس الرواق "البرطال"، بواسطة ملاط جصي⁶⁰.
- إقامة إبرمين نحاسيين وشدهما بلحام من الرصاص؛ وتجديد القنوات الجاري ماؤها إلى السبيل؛ وتركيب مصاصات نحاسية⁶¹.
- نقش واجهة السبيل وسواري الرواق وعقوده وحجر صوان الحوض. ونقش بلاط ركني السبيل الذي على يمين الداخل ويساره، وجبهة بابه والنقيشة المثبتة عليها⁶².
- تليط الرواق بحجارة الصوان⁶³.
- صنع باب جديد للسبيل، من الخشب "الطرطوشي"، وتوشيته بزخارف مسمارية⁶⁴.

كما كشفت لنا مصادرنا عن مختلف مواد البناء التي زوّدت بها حظيرة ترميم سبيل باب أبي سعدون سنة 1218 هـ/1803 م. وهي تتمثل في: كميات هامة من البلاط وحجارة الكذال والصوان والآجر والحديد والرصاص وأنواع عدة من المسامير كالمسمار "القلعي" و"المسمار الركيبي" و"المسامير الجريدية"، واللوح "الطرطوشي"، فضلا عن الرمل والشهباء والجبس والجير⁶⁵. وهي كلها مواد بناء محلية باستثناء الألواح "الطرطوشي" المستوردة من السويد⁶⁶.

⁵¹ أ. و. ت، دفتر 2307 و2308.

⁵² ابن الشماخ، 1984، ص. 120. ابن أبي دينار، 1993، ص. 177.

⁵³ الزركشي، 1998، ص. 263. الوزير السراج، 1985، ج. 2، ص. 194.

⁵⁴ أ. و. ت، دفتر 2308، ص. 61 و97 و123.

⁵⁵ أ. و. ت، دفتر 2307، ص. 3 و80 و135.

⁵⁶ أ. و. ت، دفتر 2308، ص. 46 و53.

⁵⁷ أ. و. ت، دفتر 2307، ص. 135. أ. و. ت، دفتر 2308، ص. 85.

⁵⁸ أ. و. ت، دفتر 2308، ص. 88.

⁵⁹ المصدر السابق، ص. 56.

⁶⁰ المصدر السابق، ص. 39 و50 و66 و73-74.

⁶¹ المصدر السابق، ص. 50 و52 و63.

⁶² المصدر السابق، ص. 61-62.

⁶³ المصدر السابق، ص. 64 و66.

⁶⁴ المصدر السابق، ص. 101.

⁶⁵ المصدر السابق، ص. 38-39 و49-50 و53-57 و61 و64 و66 و85 و101 و179.

⁶⁶ محمد بيرم الخامس، 1999، ج. 2، ص. 710.



وإجمالاً، فقد مكّنتنا عملية رصد مختلف أشغال الترميم والصيانة من معرفة أبرز المكونات المعمارية لهذه المنشأة المائية، والوقوف على أهم الإضافات التي شهدتها خلال الفترة الحسينية لاسيما بداية القرن التاسع عشر؛ مما يسّر لنا عملية إعادة تصورها وتشكيلها خاصة وأنها اندثرت؛ إذ كانت تتألف من سواق وصهريج وقاعة تسبيل يتقدمها رواق. وتعمل تلك السواقي على إيصال المياه إلى الصهريج المعد لتجميعها وخزنها ومنه يتم تزويد قاعة التسبيل التي تشتمل على مصاصات نحاسية يشرب منها الناس وحوض يرتوي منه الدواب، وهي مغطاة بقبو وتفتح بواسطة باب خشبي مرصع بالمسامير على رواق يرتكز على أعمدة تعلوها عقود مؤطرة بحجارة الكذال. أما الأرضيات فإنها مبلطة بحجارة الصوان. و يبدو هذا السبيل، من الناحية الجمالية بسيطا ومتواضعا. وقد انحصرت زخارفه في تلك النقوش التي تحلي واجهة قاعة التسبيل والسواري والعقود، ونص النقيشة التخليدية.

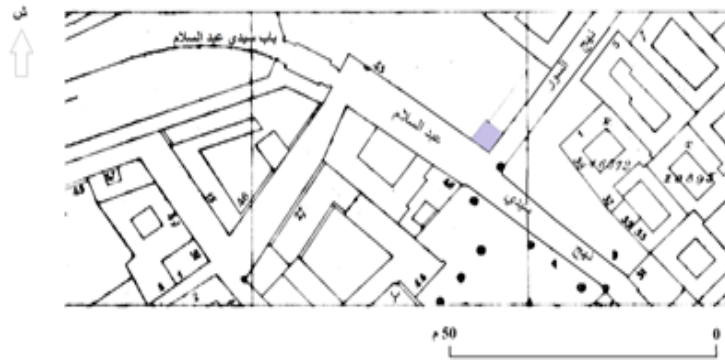
سقاية باب سيدي عبد السلام: دراسة تاريخية ومعمارية

أرخ أحمد بن أبي الضياف هذه السقاية، فنسبها إلى الوزير يوسف خوجة صاحب الطابع دون أن يحدد سنة تأسيسها⁶⁷. لكن بالرجوع إلى عقد التحبّيس⁶⁸، ونص النقيشة المثبتة بقاعدة قبة المعلم نتأكد بصفة قطعية ودقيقة أنّ السقاية من تأسيس صاحب الطابع سنة 1219 هـ/ 1804 م.

ويعود أصل المؤسس إلى صقالبة البغدان، اشتراه أحد التجار في بنّ القهوة بالأستانة. فابتاعه منه القائد بكّار الجلّولي عامل صفاقس، وأهداه للباي حمودة باشا يوم بيعته في حياة أبيه فعهد له بمباشرة طبع المراسيم الملكية، لذلك لقبوه بصاحب الطابع⁶⁹. وقد ساعدته هذه الوظيفة على التقرب أكثر فأكثر من سيده وكسب ثقته، وتدعيم نفوذه فمر بكلّ المراتب العسكرية وبلغ أرقى المناصب السياسية⁷⁰، حتى غدا الرجل الأول في الدولة بعد الباي⁷¹. واستطاع أن ينمي مداخله خاصة من التجارة الخارجية والغزو في البحر وإقراض التجار مقابل حصوله على ثلث الفائدة؛ فتجمعت لديه ثروة طائلة توازي جباية الإيالة آنذاك⁷²، استغلّ قسطا هاما منها في بناء هذه السقاية ضمن مجمع معماري مندمج ومتكامل جوار قصره بحي الحلفاوين وسط ربض باب السوينة⁷³.

وتقع السقاية داخل باب سيدي عبد السلام، وبالقرب منه، قبلي برجه الضخم البناء⁷⁴. وهي تفتح بواسطة فتحتين على نهجي سيدي عبد السلام غربا، وهو أحد المحاور التجارية الرئيسية للربض، ونهج السور قبله، وهو نهج ثانوي يتفرع عن النهج المذكور آنفا. فكانت السقاية تمثل موردا هاما لأهالي الربض والوافدين عليه.

مخطط 1- موقع سقاية باب سيدي عبد السلام



سقاية باب سيدي عبد السلام: قاعدة التسبيل

⁶⁷ ابن أبي الضياف، 1990، ج. 7، ص. 94.

⁶⁸ أنظر طارق الزواغي، 1998، ص. 15-20. جمال بن طاهر، 2000، ص 30-31.

- Ahmed Saadaoui, 2001, p. 277-280.

⁶⁹ ابن أبي الضياف، 1990، ج. 7، ص. 89-90. أنظر كذلك: S. Zmerli, 1935, p. 37-40.

⁷⁰ Louis Frank, 1850, p. 67.

⁷¹ محمد فوزي المستغامي، 1999-2000، ص. 30.

⁷² ابن أبي الضياف، 1990، ج. 7، ص. 96-97.

⁷³ يتكوّن ذلك المجمع المعماري من الجامع الذي يحمل اسم المؤسس ومدرستين وتربيتين ووكالة وحمّام ومقهى وثلاث عشرة حانوتا وسبعة مخازن وسوق مغطاة وسقاية الحلفاوين التي عليها بعض علوه، فضلا عن سقاية باب سيدي عبد السلام.

⁷⁴ جمال بن طاهر، 2000، ص. 30.



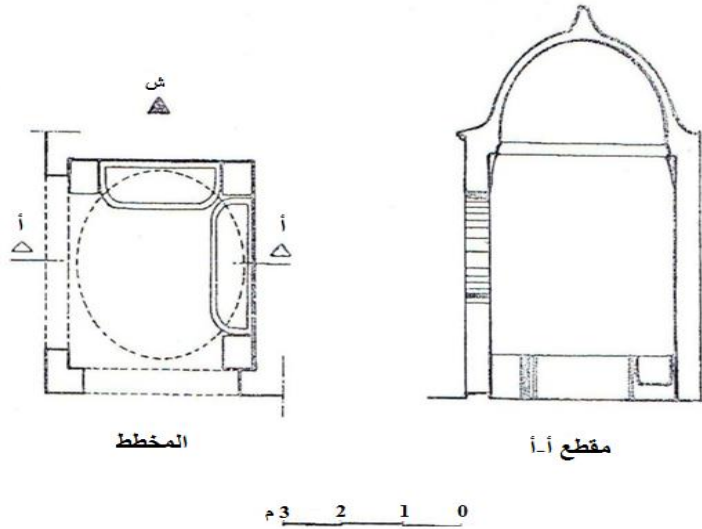
وقد خَصَّ الوزير يوسف صاحب الطابع سقاية باب سيدي عبد السلام بأوقاف كثيرة ورد ذكرها بإيضاح وإسهاب في عقد التحبّيس الذي ينقسم إلى قسمين:

قسم أول مؤرخ بأواخر ربيع الثاني 1220 هـ/ 27 جويلية 1805 م⁷⁵، وقد تضمّن، أولاً، سرداً للعقارات التي استقرت على ملك المحبس، وهي تتمثل في ثمان وعشرين قطعة من الأراضي البيضاء المَعْدَّة للحرّثة تقع بين رواد وسيدي عمر بوخطيوة من أرياف مدينة تونس. ثم يبرز لنا العقد أنّ تلك القطع هي في الأصل حبس من أحباس محمد الحفصي آخر السلاطين الحفصيين على "الذكور من أولاد السادات الأفاضل البكريين وعلى أولادهم الذكور وأولاد أولادهم الذكور وأعقابهم وأعقاب أعقابهم كذلك ما تناسلوا وامتدّت فروعهم في الإسلام ومرجعه لإطعام الطعام بزوايتهم الشهيرة المعروفة بالزاوية البكريّة بربض باب السويقة من تونس بعد انقراض الذكور منهم..."⁷⁶ وقد انتقلت إلى ملكية الوزير يوسف صاحب الطابع عن طريق المعاوضة بعقار من أملاكه الخاصّة يعرف بهنشير بني داود بالوطني القبلي.

أمّا القسم الثاني، فيتألف من الطرّة المؤرّخة بالثاني عشر من جمادى الأولى 1220 هـ/ 8 أوت 1805 م. وهي تنصّ على أنّ المحبس قرر تحبّيس كلّ عقاراته المذكورة آنفاً على السقاية التي أنشأها قبلي برج باب سيدي عبد السلام "لإصلاح ما عساه يحتاج للإصلاح من محلّ انسراب الماء إليها ومصّاصاتها ودولابها وجدرانها وما اتّصل بها من مسكن النواعري⁷⁷ ومربط الدابة، وتجديد ما احتيج منها له من قواديس وحبل، وتعويض دابة للدولاب إن عطبت التي فيه، وأجر النواعري وغير ذلك من سائر ما تتقوم به حتّى تصير قائمة على أصولها مستدامة الانتفاع بها، يضاف ما يتحصل من ذلك لمحصل ما وقّفه عليها في غير هذا ويصرفه ناظر السبائل المولّى من قبل من له النظر العام..."⁷⁸

وقد قدّم لنا عقد التحبّيس مخططاً مفصلاً لسقاية باب سيدي عبد السلام؛ إذ كانت تتكوّن من بئر عليها دولاب لإخراج الماء وقاعة تسبيل، ومسكن خاص بالنواعري، ومربط للدواب المحركة للدولاب. فحنّ إزاء "مركب معماري" جعل ليشرب منه الناس وترتوي منه الدواب⁷⁹. إلّا أنّه لم يصلنا من كلّ تلك العناصر المعماريّة سوى قاعة التسبيل. أمّا بقية المرافق فإنّها اندثرت وامّحت. وقد اختطّت هذه القاعة حسب مخطط قريب من المربع (12, 4 م × 9,3 م).

مخطط 2 - سقاية باب سيدي عبد السلام



المصدر : هناء واز التومي، 2001-2002، ص. 178.

⁷⁵ جمال بن طاهر، 2000، ص. 23-30.

⁷⁶ جمال بن طاهر، 2000، ص. 26-27.

⁷⁷ "النواعري"، هو المكلف بشؤون الناعورة. أنظر أحمد السعداوي، 2015، ص. 58.

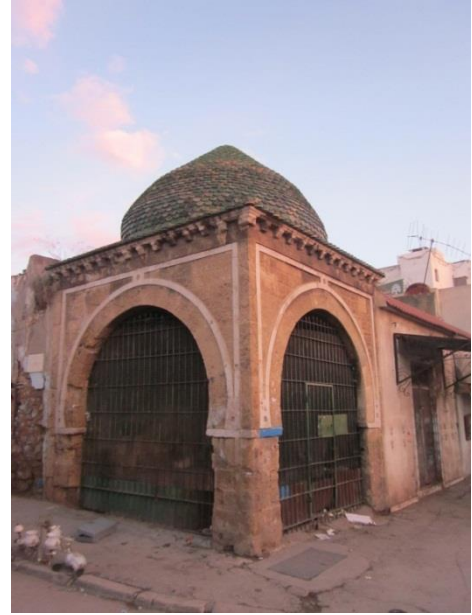
⁷⁸ جمال بن طاهر، 2000، ص. 30-31.

⁷⁹ المرجع السابق، ص. 16 و30.

وتنفتح القاعة على نهجي السور وسيدي عبد السلام بواسطة فتحتين⁸⁰. وتتخذ كل فتحة منهما شكل قوس نصف دائري متجاوز مؤطر بحجارة الكذال ومرتكز على دعامتين من حجارة الحرش المهندمة⁸¹ (صورة 1 و2). وتوجت كلتا الواجهتان بإفريز مكسو بقراميد مسطحة خضراء اللون تحملها أغربة من الكذال المهندم الموشى بوريدات (صورة 3).



صورة 2. إحدى دعامات قاعة التسبيل



صورة 1. سقاية باب سيدي عبد السلام: قاعة التسبيل

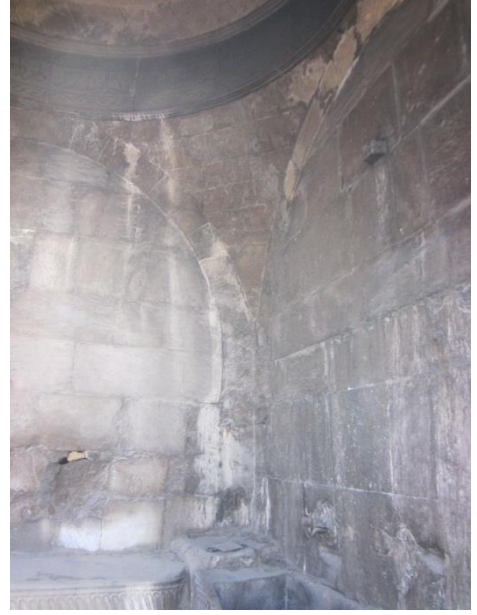


صورة 3. زخارف الواجهة القبليّة للمبنى

وتغطّي كامل المبنى قبة بصلية الشكل، مكسوة كذلك بقراميد مسطحة خضراء اللون ومتراكبة كأسفاط السمك. وهي ترتكز مباشرة على قاعدة مربعة تشكّلها الجدران الأربعة (صورة 1). أما من الداخل، فقد تمّ الانتقال من الشكل المربع إلى الشكل النصف دائري عبر مثلثات كروية موزعة على الأركان. وحتى تستطيع الجدران تحمل الثقل الذي تمثله تلك القبة، تم تدعيمها بقوسين مندمجين (صورة 4 و5).

⁸⁰ غلقت فتحتا السقاية، حاليا، بقضبان حديدية قصد حمايتها من الأوساخ وكل أعمال التخريب.

⁸¹ يعلو كل دعامة وسادة من حجارة الكذال المهندمة.



صورة 4-5. عناصر حمل القبة ودعمها

وتحلي قاعدة القبة نقيشة نفذت على ألواح رخامية، وكتب نصها باللغة العربية بخط نسخي شرقي غائر مرصع بالرصاص، وقد احتوى على سبعة عشر مقطعاً، وتم تأريخه بطريقتي الأحرف والأرقام. وتحف بالحقل الكتاني زخارف نباتية في شكل أغصان ملتوية (صورة 6).



صورة 6. نقيشة تحلي قاعدة القبة

ويتضمن النص البسملة والصلعمة واسم المؤسس وعبارات الثناء عليه دون التغافل عن الإشادة بمنن حمودة باشا الحسيني الذي تم في عهده ذلك الإنجاز. وأفرد السطر الأخير لتاريخ التأسيس الذي يعود إلى سنة 1219 هـ.

نص النقيشة⁸²:

1	2	3
بسم الله الرحمان الرحيم	وصلى الله على سيدنا محمد وسلم	سبيل ثنا صاحب الطابع الـ
4	5	6
العنان إليه وشاد انتظامه	لقد حاز يوسف غنما له	وأحرز أجرا ليوم القيامه
7	8	9
وساق الأجور لمخدومه الـ	{.....}	ومولى الكرم له
10	11	12
فنعم الجميل لمن قد بنا	ونعم الجميل لمن قد أقامه	شفا غلة الخلق في وقتها
13	14	15
وأطفا من كل صنم أوامه	وجاد بماء معين له	على السلم والأمن أقوى علامه
16	17	
فلا غرو أن جاء تاريخه	سبيل حفييل سبيل السلامة، سنة 1219 هـ.	

أما الأرضية، فإنها مبلمطة بحجارة الكذال المصقول، وهي غير متجانسة من حيث الحجم. وتحتوي القاعة على مصاصة نحاسية يشرب منها الناس، وتابوتين رومانيين من الرخام المخدّد لصق الجدارين الشرقي والجنوبي أعيد استعمالهما كحوضي سقاية يرتوي منهما الدواب⁸³ (صورة 7).



صورة 7. حوضا قاعة التسبيل ومصاصتها النحاسية

هكذا تبدو قاعة التسبيل صغيرة الحجم، ومنظمة التخطيط، ومتقنة البناء. وهي محلاة بزخارف قليلة ومتنوعة نلمسها من خلال تلك النقيشة الرخامية المزدانة بزخارف كتابية ونباتية والقرايميد المسطحة الخضراء والأغربة الموشاة بوريدات فضلا عن الأشرطة الزخرفية المؤطرة للعقدين.

⁸² جمال بن طاهر، 2000، ص. 32. هناء واز التومي، 2001-2002، ص. 179.

⁸³ Georges Marçais, 1955, p. 484. S.M. Zbiss, 1971, p. 39. Ahmed Saadaoui, 2001, p. 280.

وتتميز عمارة هذا الصنف من المباني سواء أكانت جديدة (سقاية باب سيدي عبد السلام) أم مجددة (سبيل باب أبي سعدون) ببساطتها وتقسفها وتجذرها في التقاليد المحلية. وقد استمدت أصالتها خاصة من خلال انسجامها وتناغمها مع وظائفها.

دفتري بيان تقييد المساجد والزوايا والميضآت والكتاتيب والأسيلة وغير ذلك وما عليها من الأوقاف، سنة 1170 هـ/ 1756 م. تحقيق ودراسة نادية بوسعيد، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي وحضارته، اختصاص آثار وفنون إسلامية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات ممنوعة، 2005-2006.

دفتَر محصول قانون خروبة الرباع بالحاضرة، سنة 1260 هـ/1843-1844م.
صندوق 211، رسم انزال عدد 254.

دفتري 119، محاسبة حمودة قميحة شيخ المدينة على أوقاف الأسبلة والفسقية، من سنة 1170هـ/ 1756 م إلى سنة 1177 هـ/ 1764 م.

دَفتَر 1776، محاسبة وكيل أوقاف الأسيلة، بين سنتي 1204-1209هـ/ 1789-1795م.
دَفتَر 1778، محاسبة الوكيل مراد سقسلي بكباشي الحنفي على مقبوضه من أوقاف أسيلة الحاضرة وفساقيها ومصروفه عليها طيلة خمس سنوات، بدأة من سنة 1211هـ/ 1796 م إلى حدود سنة 1215 هـ/ 1800م.

دفتر 2070، بیان حساب وکیل أسبله الحاضرة، بين سنتي 1187-1189هـ/ 1773-1775 م.
دفتر 2286، إحصاء الرباع كالمنازل والمخازن وغيرها التي تحتاج إلى الإصلاح بمدينة تونس وربضيها سنة 1263 هـ/ 1846-1847م، مع ذكر الأحياء و"المحرّكن" ومالك الرباع.

دفتر 2307، محاسبة الوكيل على مداخيل أسئلة الحاضرة وفساقيتها ومصاريفه عليها بين سنتي 1215 و1216 هـ/ 1800-1801 م.
دفتر 2308، محاسبة الوكيل على مداخيل أوقاف أسئلة الحاضرة وفساقيتها ومصاريفه عليها، بين سنتي 1215 و1218 هـ/ 1800-1803 م.

دفتر 3992، نسخ لحج تحسین أملاك على المساحد والمدارس بمدينة تونس وریضها تعود إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم القيرواني، 1993، *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*، دار المسيرة، لبنان.
 ابن أبي الضياف أحمد، 1990، *إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان*، الدار التونسية للنشر، تونس، 8 أجزاء.
 ابن الشماخ أبو عبد الله محمد بن أحمد، 1984، *الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية*، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب.

ابن عبد العزيز حمودة بن محمد، 1970، **الكتاب الباقي**، تحقيق الشيخ محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزء الأول.
 بريم الخامس محمد، 1999، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، تحقيق د. علي بن طاهر الشنوفي، ود. رياض المرزوقي ود.
 عبد الحفيظ منصور، بيت الحكمة، تونس، المجلد الثاني.

الزركشي محمد بن إبراهيم، 1998، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتقديم الحسين اليقوي بمساعدة محمد قريمان ومحمد صالح العسلي، المكتبة العتيقة، تونس.



مقديش محمود، 1988، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2 ج.
الوزير السراج محمد بن محمد الأندلسي، 1985، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 3 أجزاء.

المراجع باللغة العربية

ابن طاهر جمال، 2000، «سبيل باب سيدي عبد السلام: تحبب عقارات يوسف صاحب الطابع»، أعمال المؤتمر العالمي الثالث لمدونة الآثار العثمانية في العالم، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ص. 13-33.
بوسعيد نادية، 2006-2005، **تحقيق ودراسة دفتر بيان تقييد المساجد والزوايا والمبضات والكتاتيب والأسبلة وغير ذلك وما عليها من الأوقاف**، سنة 1170 هـ / 1756 م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العالم المتوسطي وحضارته، اختصاص آثار وفنون إسلامية، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس.
التومي هناء واز، 2002-2001، **المنشآت المائية بمدينة تونس خلال الفترتين الوسيطة والحديثة**، شهادة الدراسات العليا المعمقة في الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس.
جوابلية رمزي، 2010، **ربض باب السويقة: دراسة حضرية ومعمارية خلال الفترة العثمانية**، شهادة الماجستير في علوم التراث، اختصاص آثار إسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس.
حسن محمد، 1999، **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، 2 ج.
زبيس سليمان مصطفى، 1955، **آثار الدولة الحسينية بالقطر التونسي**، مطبعة سابي، تونس.
الزواغي طارق، 1998، **سقاية باب سيدي عبد السلام بتونس، دراسة وثائقية وميدانية**، شهادة الدراسات العليا المتخصصة في التراث والآثار، كلية الآداب بمنوبة، تونس.
الزواغي طارق، 2005-2004، **الغابة الجوفية لتونس: تراث نباتي وعقاري (1705 م-1881 م)**، شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة العالم المتوسطي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس.
السعداوي أحمد، 2011، **تونس في القرن السابع عشر: وثائق الأوقاف في عهد الدايات والبايات المراديين، تقديم وتحقيق، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، وحدة البحث "المدين التاريخية التونسية والمتوسطية"**، تونس.
السعداوي أحمد، 2015، **تونس زمن حسين بن علي وعلي باشا (1705-1756): وثائق أوقاف من العهد الحسيني، دراسة وتحقيق، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، مخبر الآثار والعمارة المغاربية**، تونس.
اللواتي محمد، 2013، **تزويد المدين التونسية بالمياه خلال العهد الحسيني: دراسة تاريخية وأثرية**، أطروحة دكتوراه في علوم التراث، اختصاص آثار إسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس، 2 ج.
المستغامي محمد فوزي، 2000-1999، **يوسف صاحب الطابع وعلاقته بربر باب السويقة نهاية القرن XVIII وبداية القرن XIX**، شهادة الدراسات المعمقة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس.

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

Frank Louis (Dr.), 1850, *Histoire de Tunis*, Édité et annoté par J. J. Marcel, Paris.
Gafsi Slama Abdel Hakim, 1997, « Note sur les fontaines publiques dans les villages morisco-andalous et à Tunis », *Africa*, n°15, p. 233-266.
Marçais Georges, 1955, *L'Architecture Musulmane d'Occident*, Paris.
Saadaoui Ahmed, 2001, *Tunis ville ottomane : trois siècles d'urbanisme et d'architecture*, Centre de Publication Universitaire, Tunis.
Zbiss Slimane Mustapha, 1971, *Les monuments de Tunis*, Société Tunisienne de Diffusion, Tunis.
Zmerli S., 1935, « Une figure oubliée : Youssef Saheb Et- Tabaa », *Revue Tunisienne*, n°21, pp. 37-50.